# علاقة التداخل اللغوي بالنمو النفسي اللساني عند الطفل

**أ. نصيرة شوال**

**جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف (الجزائر)**

**ملخص:**

شغل التداخل اللغوي اهتمام كل من علماء النفس، وعلم الاجتماع، وعلوم اللغة، على حد سواء، وهذا لتخوف المجتمع من أن يكون له من تأثير سلبي على اللغة الأم التي تمثل الهوية والقومية، أو على التحصيل الدراسي للفرد، إذ أصبحت ظاهرة منتشرة في الكثير من الدول، ومن بينها الجزائر، والتي وجدت فيها اللغة العربية صداماً حاداً مع لغة أجنبية تعتبر من بقايا الاستعمار الفرنسي، أو مع لهجات محلية تمثل التعدد الثقافي للمجتمع، وأضحت المشكلة تتفاقم مع العولمة، وعدم تعريب التدريس، وخاصة التعليم الجامعي.

والمعروف أن اللغة تنمو وتتطور كلما زاد اتصال الفرد بالآخرين، وبسبب ذلك تزداد الثروة اللغوية وتتسع، بينما كلما مال الفرد إلى العزلة ضاقت مساحة اللغة التي يمتلكها، فقد أُجريت كثير من الدراسات في موضوع اكتساب الطفل اللغة الأولى، وتوفر كمٌّ هائلٌ من هذه الدراسات، مما أعطى الفرصة للمختصين والباحثين لتدارس هذه المشكلة، ووضع خلاصة لهذه البحوث ومناقشة نتائجها، ووجد أنه حينما يضطر الطفل إلى تعلم لغة أجنبية في الوقت الذي لا يزال يتعلم لغته الأم، فإن التطور اللغوي لديه يكون متأخرا عنه لدى الأطفال الذين يتعلمون لغة واحدة.

وتحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على ظاهرة التداخل اللغوي من الناحية النفسية، لفهم كيف تؤثر على سيرورة النمو اللساني عند الطفل الذي يضطر لتعلم أكثر من لغة في آن واحد.

Résumée :

L'interférence linguistique est un sujet qui intéresse a la fois le psychologue , sociologue Et linguiste ,car la société craint l'impact négatif que peut avoir ce dernier sur sa langue maternelle considéré comme une marque d'identité et de nationalisme ,Et sur le parcoure scolaire de l'individu .Il est a remarquer que ,Ce phénomène c est propagé dans plusieurs pays comme dans l'Algérie ou la langue arabe est confronté a la langue laissé par le colonisateur français , et a plusieurs dialectes locaux Le problème ne cesse d'évolué à cause de la mondialisation et le peut d'importance accordé A la langue arabe dans l'enseignement surtout universitaire, Il est connu que la langue se développe et enrichie grâce au contact d'un individu avec les autre membre de sa société et inversement elle diminue à cause de son isolement Plusieurs études sur l'acquisition de la première langue chez

l'enfant ont été faites et les spécialiste s'accordent à dire que L'apprentissage d'une deuxième langue au même temps que la langue maternelle peut causer un retard chez l'apprenant Par rapport à ceux qui n'apprennent qu' une seule Langue Ce document tente d'expliquer le phénomène d'interférence linguistique d'un point de vue psychologique, pour comprendre comment ils affectent le processus de croissance linguistique chez les enfants qui ont plus d'une langue à apprendre au même temps.

مقدمة:

لقد كرم الله سبحانه وتعالى اللغة العربية بأن جعلها لسان قرآنه المبين، حيث يقول في أوائل سورة يوسف: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [1] ، كما وزادها تشريفا حين أقسم بها في كتابه العزيز، حيث قال وهو أصدق القائلين: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[2] ، ففي قوله يسطرون يقصد ما يكتبون من اللغة العربية، وفي هذا دلالة واضحة على ما حظيت به اللغة العربية من مكانة مرموقة من بين سائر اللغات، لكن ما أصبح يؤرق الغيورين على لسان الضاد اليوم هو ما تلاقيه اللغة العربية من صدام حاد مع لغة أجنبية تعتبر من بقايا الاستعمار الفرنسي، حيث يرى البعض أننا حققنا الاستقلال السياسي لكننا لم نحقق الاستقلال اللغوي بعد، إضافة إلى ما تتميز به الجزائر من لهجات محلية تمثل التعدد الثقافي للمجتمع، ففي استقرائنا لتاريخ اللغات صادفتنا معلومة تسترعي انتباه كل متطلع إلى تحسين واقع اللغة العربية، وهي قول الباحث كلوس(kloss.1969) أن : " اللغات لا يمكن أن يترك بعضها شأن بعض، فاللغة دائماً تحاول أن تزيح الأخرى جغرافياً واقتصادياً "، لذلك يرى الكثيرون أن الازدواجية اللغوية، وتعدد اللهجات لا تمثل مشكلة في حد ذاتها بقدر ما تكمن مشكلتها في منافسة اللغة الثانية للغة العربية، والتي ما انفكت توحد الأمم وتعزز الحس القومي لديهم، والسؤال المهم طرحه هنا هو: إذا كانت اللغات لا يمكن أن يترك بعضها شأن بعض، فهل معنى ذلك أن تعليم الطفل لأكثر من لغة في آن واحد كالفرنسية والعربية، إضافة إلى ما تعلمه من لهجته المحلية، سوف يؤثر بالسلب على قدراته النفسية لتعلم وإتقان اللغة العربية؟

**تعريف اللغة:** اختلف الباحثون على اختلاف مشاربهم في تعريف اللغة لاتساع مفهومها ومدلولاتها، مما أدى بهم إلى التركيز على واحدة أو أكثر من الوظائف التي تؤديها اللغة عند تعريفهم لها، إذ يرى ابن جني بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[3]، حيث أن الأغراض هي المعاني والدلالات التي يراد نقلها من المتكلم إلى المستمع باستخدام الأصوات المنطوقة[4]

وحسب آخرين فإن اللغة نظام إشارات نقي، ونشاط فيزيولوجي يتم من خلال عمل عدة أعضاء، وهي قدرة لاحتلال مكانة إنسانية، ولديها إمكانات التواصل من فرد لآخر[5].

وتعتبر اللغة نظام من العلامات الصوتية المنطوقة، وتتألف أي لغة من عدد لانهائي من المفردات والتي تشير إلى الارتباطات بين الأصوات والمفاهيم، كما أن متوسط عدد الكلمات يزيد مع تقدم الطفل في السن، ومع ازدياد حاجاته المتعددة وثراء المحيط الاجتماعي الذي يحيط به، فكل هذه العوامل تتضافر فيما بينها لتشكل قاموس الطفل اللغوي[6].

أما تشومسكي فيرى في تحديده لمفهوم اللغة، ضرورة الإشارة إلى القواعد النحوية والتركيبات القوا عدية، وأن المنطوق لا يشترط أن يكون له معنى، بحيث يمكن للإنسان نطق كلمات ليس لها معنى، لكن القواعد النحوية والتركيبات تجعل الجمل المنطوق بها ذات معنى ومضمون[7].

إذن فاللغة وسيلة للاتصال وحفظ التراث والثقافة، يستطيع المرء من خلالها التعبير عن حاجاته، والتفاهم مع أبناء مجتمعه، لتحقيق مصالحه الخاصة بطريقة سهلة.

**اللغة الفصحى**: تعرف اللغة الفصحى بأنها لغة القراءة والكتابة، ويؤلف بها الشعر والنثر الفني، وتستخدم في التدريس، وفي تفاهم العامة إذا كانوا بصدد موضوع يمت بصلة إلى الآداب والعلوم[8].

**تعريف اللهجات**: تنص المعاجم العربية على أن اللهجة (لغة): هي اللسان أو جرس الكلام، أو هي اللغة التي جبل عليها الإنسان فعتادها ونشأ عليها، يقال فلان فصيح اللهجة، وصادق اللهجة، ويقال: لهج بالشيء لهجا- من باب فرح- أولع به، أو غري به فثابر عليه، ولهج الفصيل بأمه إذا اعتاد رضاعها، فهو فصيل ، ويُقال لهَجَ بالأمر لهَجًا :أولع به واعتاده، واللّهَجَة : بالفتح هي طرف اللّسان، ويُقال: فلان فصيح اللّهجة، فهي لغته التي جُبِلَ عليها فاعتاد ونشأ عليها[9] وجاء في مقاييس اللّغة "لابن فارس" :اللام والهاء والجيم :أصل يدل على المثابرة على الشيء وملازمته، ...وسمي اللّسان لهجة لأّنه يلهج باللغة والكلام"[10].

أما في الاصطلاح: فقد نال التعريف الذي نادى به الباحث إبراهيم أنيس[11] شهرة واسعة بين الباحثين، واللهجة عند أنيس هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في تلك الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من مجال أوسع وأشمل يضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، أما قديماً فكان يطلق عليها اللغة ولم تستعمل اللهجة بمعناها الاصطلاحي السابق إلا حديثاً، فكان يقال "لغة" القبيلة بدلاً من "لهجة" القبيلة فيقال لغة قريش ولغة طيئ ولغة تميم وهكذا .

إذن فاللهجة هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال الأفراد بعضهم ببعض، وفهم الرابطة التي ترتبط بين هذه اللهجات وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة، أو قل هي قيود صوتية خاصة تُلحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معينة، وقيل هي طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة [12]، كما تذهب الباحثة سهام مادن إلى أن اللهجة تنوع للعامية تخضع للعوامل الجغرافية[13]

**تعريف الازدواجية اللغوية:** يعتبر اللّغويّ الأمريكيّ تشارلس فرغيسون أوّل من درس ظاهرة الازدواجيّة اللغوية في عدد من اللغات من بينها العربيّة وعرّف هذه الظاهرة بأنّها:

"وضع مستقرّ نسبيّاً توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسة للّغة لغةٌ تختلف عنها، وهي مقنّنة بشكل متقَن؛ وهذه اللغة كنوعٍ راقٍ، يُستخدَم وسيلةً للتعبير عن أدب محترم، سواء أكان هذا الأدب ينتمي إلى جماعة في عصر سابق، أم إلى جماعة حضاريّة أخرى، ويتمّ تعلُّم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسميّة، ولكن لا يستخدمها أيُّ قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتياديّة."

ويتفق جميع اللغويّين العرب مع فيرغسون على أنّ العامّيّات العربيّة هي ليست لغات مستقلّة عن العربيّة الفصحى، وإنّما لهجات جغرافيّة أو اجتماعية أصابها شيء من التغيير (أو التحريف) في بعض ألفاظها وبنياتها ودلالاتها، وأنّ الفصحى أغنى من العاميات في مفرداتها ومصطلحاتها وتراكيبها، وأنّ قواعدها أكثر تطوّراً وتقنيناً، وأوسع انتشاراً جغرافياً. ولهذا فإنّ الفصحى، هي التي تصلح أداةً فاعلة للتفكير المجرد، واكتساب المعرفة، والتواصل مع التراث، والتراكم الثقافيّ، وأساساً للتعاون بين جميع أقطار العروبة.[14]

وهذه الازدواجيّة اللّغويّة ظاهرةٌ كذلك في قضيّة اكتساب اللّغة لدى الطفل العربيّ، لأن لغة البيت هي اللهجة العامّيّة فإنّ الطفل يكتسب العامّيّة بوصفها لغته الأم خلال الخمس سنوات الأولى من حياته ثم يأخذ في تعلم العربية الفصحى في المدرسة.

ويقول أحمد الجندي:" تقتضي نواميس اللغات أنه متى انتشرت اللغة في مناطق واسعة من الأرض، وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا[15] . وهذا انطبق على اللغة العربية عند انتشارها، فقد انقسمت إلى لهجات، واتخذت كل لهجة منهجا خاصا بها تحت تأثير ظروفها الخاصة بها، ورغم ذلك بقيت اللغة العربية لغة علم وثقافة.

**مفهوم التداخل اللغوي**: التداخل لغةً يعني دخول الشيء في الشيء، جاء في لسان العرب: "تداخل المفاصل ودخالها؛ أي دخول بعضها في بعض، وتداخل الأمور تشابهها والتباسها، ودخول بعضها في بعض، والدخلة في اللون يعني تخليط ألوان في لون[16]، كما يعني التداخل الولوج، وفلان دخيل في بني فلان إذا كان من غيرهم. ودخيل الرجل من يداخله في أُموره[17].

أما اصطلاحا فالتداخل اللغوي هو عبارة عن تطبيق نظام لغوي للغة ما أثناء الكتابة أو المحادثة بلغة ثانية. في حين يعرفه أوريل فينريش Uriel Weinreich "أنه انحراف عن قواعد إحدى اللغتين اللتين يتحدث بهما ثنائيوا اللغة نتيجة للاتصال الحاصل بين اللغتين"[18]

**تاريخ ظهور الازدواجية اللغوية بين الفصحى و اللهجات العربية**: كانت العرب أمم متفرقة إلى قبائل منتشرة في أنحاء الجزيرة العربية، وكان لكل قبيلة استقلالها وكيانها الخاص، وكان هذا من أسباب نشأة اللهجات العربية القديمة، ففي العصر الجاهلي تمسكت كل قبيلة بطريقتها الكلامية في لهجات التخاطب، لكن الخاصة من الناس في تلك القبائل لجئوا إلى اللغة الفصحى، ينظمون بها الشعر، وينفرون من صفات اللهجات في مثل هذا المجال، وهذا يعني أن اللغة عندهم مستويان: مستوى اللهجات وتُتّخذ أداة للتفاهم بين أفراد القبيلة في أمور حياتهم العامة، ومستوى اللغة المشتركة وتستعمل في المواقف الجادة، وكان إتقان تلك اللغة موضع فخر بين رؤساء القبائل والخاصة من الناس، وفي عهد التدوين حظيت العربية بعلماء برزة أخلصوا لها، وقدموا خدمات كبيرة من أجل جمعها من مصادرها الموثوقة والوقوف على أسرارها، و محاولة ضبطها وبذلوا في سبيل ذلك جهودا كبيرة. [19] .

إن اللهجة – من وجهة نظر المحدثين – مجموعة من الخصائص اللغوية يتحدث بها عدد من الأفراد في بيئة جغرافية معينة، وتكون تلك الخصائص على مختلف المستويات :الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وتميزها عن بقية اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة، ولكن يجب أن تبقى تلك الخصائص من القلة بحيث لا تجعل اللهجة عسيرة الفهم على أبناء اللغة، لأنه عند ما تكثر هذه الصفات الخاصة على مرّ الزمن لا تلبث هذه اللهجة أن تستقل، وتصبح لغة قائمة بذاتها، كما حدث للغة اللاتينية التي اندثرت و تفرع عنها لغات لها كيانها و خصائصها منها:الإيطالية و الفرنسية والإسبانية، وكما حدث للغة السامية الأم التي استقلت عنها لغات كالعربية والعبرية والآرامية وغيرها[20]، وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها المميزة، ويربط بينها جميعا مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور من حديث. وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة

لهجات هي التي اصطلح على تسميتها اللغة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص[21]، وعندما تتعدد اللهجات في مجال لغوي واحد يصعب وضع حدود لهجية بينها، لكن ذلك لا يعني أن اللهجات لا تعرف الحدود مطلقا؛ لأن لكل لهجة مجموعة من الصفات المشتركة التي تميز بينها و بين غيرها ، فالتقسيم اللهجي يرجع إلى إحساس حقيقي لدى سكان الإقليم الواحد، بأنهم يتكلمون بصورة ، ليست هي نفسها التي يسير عليها سكان الإقليم المجاور [22]، وقد بدأت دراسة اللهجات العربية في العصر الحديث على أيدي المستشرقين[23] الذين قدِموا إلى العالم العربي للبحث في أحواله وثقافته منذ القرن التاسع عشر، وكانت في معظمها أعمالا متواضعة تقوم على جمع المادة ودراستها بطريقة تقليدية، لكنها لم تلبث أن تطورت بفضل تقدم الدراسات اللغوية المعاصرة في الغرب، وقد اهتم كثير من الباحثين العرب المحدثين بدراسة اللهجات العربية في جميع أنحاء العالم العربي، وأسهمت الجامعات العربية بدورها في هذا الاهتمام لدى اللغويين العرب بتأليف الكتب في هذا المجال[24]، كما قامت المجامع اللغوية العربية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد بتشجيع الأبحاث و الدراسات في هذا المجال، حتى أن مجمع اللغة العربية في القاهرة خصص إحدى لجانه لدراسة اللهجات، وينطلق هؤلاء العلماء في اهتمامهم بدراسة اللهجات العربية الحديثة من اعتقادهم بأن ذلك يؤدي إلى فهم طبيعة اللغة ومراحل نشوئها وتطورها وبيان تاريخها[25]، ويسهم في دراسة اللهجات العربية القديمة، فقد حظيت اللهجات الحديثة ببعض الصفات التي يمكن إرجاعها إلى لهجات عربية قديمة[26]، و كان أول من تنبه لأهمية اللهجات الحديثة ودعا إلى دراستها دراسة علمية حفني ناصف في بحثه "مميزات لغة العرب وتخريج اللغة العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك" الذي ألقاه في مؤتمر المستشرقين في أوائل عام1894 م. واستجاب علماء العرب لهذه الدعوة، وقاموا بإعداد عدد من الدراسات الرائدة، في هذا المجال، مثل: دراسة إبراهيم أنيس: "لهجة القاهرة" – رسالة دكتوراه ، ودراسة تمام حسان: وغيرهم [27].

**اكتساب اللغة عند الطفل**: يمكن تقسيم الدراسات حول موضوع اكتساب اللغة إلى قسمين: القسم الأول ويتعلق بدراسات اللغة الأم أي اللغة الأولى، والقسم الثاني يتعلّق باللغة الثانية، لكن النظريات المتعلقة باكتساب اللغة الأولى ملائمة لاكتساب اللغة الثانية.[28]

**–نظريات اكتساب اللغة الأولى**: هناك العديد من النظريات والتوجهات التي تفسر اكتساب اللغة عند الطفل، ومن أهمها نظريتان قد تطوّرتا وأصبحتا شائعتين حول كيفية اكتساب اللغة. وهاتان النظريتان كانتا متضادتين في الأفكار: الأولى النظرية السلوكية، والتي ترى أنّ اللغة تتطوّر

نتيجة عوامل بيئية، والنظرية الثانية، هي النظرية الفطرية وترى أنّ اللغة تتطور بفعل عوامل فطرية تولد مع الإنسان ، أما الأفكار ووجهات النظر الحديثة حول كيفيَّة اكتساب الإنسان اللغة، فتركِّز على الجمع أو التفاعل بين العوامل البيئية والقدرات الفطرية وهي النظريات التفاعلية التي تختلف في تفسيرها لعملية اكتساب اللغة[29].

– **النظرية السلوكية**: يتزعمها واطسون و سكينر، حيث اعتبرت هذه النظرية أن النمو اللغوي يخضع لمبادئ التعلم: التدعيم، التقليد، المحاكاة و الإشراط.

**التدعيم**: ويعتبر سكينر التدعيم فصلا من فصول التعلم، حيث أن الاستجابات اللغوية التي يليها تدعيم من المحيطين بالطفل على شكل ابتسامات، تشجيع أو أصوات ستستمر، أما التي لا يليها تدعيم تتلاشى، كما يرى سكينر أن المهارة اللغوية ينمو وجودها عن طريق المحاولة والخطأ[30].

**التقليد والمحاكاة**: حيث يرون أن اللغة تنتقل عن طريق النمذجة والتقليد والمحاكاة، إذ يعتمد الطفل على المحيطين به في تعلمه للغة خاصة من الأبوين، فهم يقدمون النموذج الأول للطفل، ويؤكد آلبرت بندورا A.Bandura على دور التعلم من خلال الملاحظة، فحسبه لغة الأطفال ترتقي بصفة أساسية، بتقليد المفردات والتراكيب اللغوية التي يستخدمها الآباء [31].

**التشكيل**: يعرف التشكيل باسم التقريب المتتابع أو مفاضلة الاستجابة، وهو أسلوب لتوليد سلوكيات جديدة عن طريق التدعيم لسلوكيات موجودة لدى الفرد، وبالتدرج يتم سحب التدعيم من السلوكيات الأقل مماثلة، ويركز على السلوكيات الأكثر تشابها والتي تصبح شيئا فشيئا مشابهة للسلوك النهائي المرغوب.

إن الإشكال المطروح في هذه النظرية أن التقليد والمحاكاة لا يساعدان المتعلم في الواقع الحياتي، ذلك لأن المتعلم يحتاج إلى تشكيل جملٍ جديدةٍ لم يألفها من قبل، لأن كلام الطفل لا يقتصر على قوالب جاهزة، فالطفل يتعلم الكثير من دون اللجوء إلى المحاكاة، حيث يبتكر كلمات لم يسبق أن تعلمها.

– **النظرية الفطرية**: لقد ركز تشومسكي Tchomsky على التركيب الداخلي للغة، وعلى الأنماط العامة للنمو اللغوي والتشابه الأساسي بين كل اللغات، والعلاقة بين نضج الجهاز العصبي والقدرة اللغوية، وأكثر دليل يدعم الاتجاه الفطري للغة هو تشابه مراحل النمو اللغوي عند جميع أطفال العالم، ولقد عارض تشومسكي و أتباعه فرضية أن اللغة تكتسب بالتعلم فقط، وانتقد مبادئ النظرية السلوكية و أشار إلى أنه عند تحليل التفاعل بين الأبناء والآباء، وجد أن جميع الأطفال

يمرون بنفس المراحل ويتعلمون لغتهم الأصلية وهذا يعني أن اللغة ليست سلوكاً يكتسب بالتعلم والتدرب والممارسة فحسب، كما يرى السلوكيون، بل هناك حقائق عقلية وراء كل فعل سلوكي، أي أن اللغة تعد تنظيماً عقلياً معقداً لأنها أداة تعبير وتفكير في آنٍ واحد[32]، ويعتمد تشومسكي على مبادئ أهمها :

**الميل الفطري لاكتساب اللغة:** حيث ترى هذه النظرية أن الطفل السوي يكون مهيأ بيولوجيا لتعلم أي لغة بشرية بسهولة، كما يرى تشومسكي 1968 أن الجهاز العصبي يحوي تركيبا عقليا يتضمن القابلية لإنتاج اللغة، وهي مفهوم غريزي عند لغة البشر، و يفترض" لنبرج Lenneberg " أنها خاصية من خصائص البشر الموروثة، وأن مراحل اكتساب اللغة تحدث لدى الأطفال الأسوياء بنسق ثابت ومستمر، في جميع أنحاء العالم رغم التباين البيئي والثقافي، ومن المسلم به في هذه النظرية أن لدى الأطفال استعداد لمهارة فطرية تسمى جهاز اكتساب اللغة، وهذه الأداة تساعد على تكوين الجمل وكلما نضج العقل يكتسب الطفل مهارات أكثر في فهم وإنتاج اللغة.[33]

**العالمية اللغوية:** تشترك اللغات البشرية في مظاهر أساسية، فكل اللغات لها وحدات صوتية محدودة تنبثق منها أعداد كبيرة من الكلمات والتراكيب الكلية، التي تتمثل في المورفيمات والجمل، ويمكن أن تنحصر تراكيب اللغات في نظم فعل فاعل مفعول أو فاعل فعل مفعول، وتشترك اللغات الإنسانية في كون أن لها تقريبا نفس العلامات النحوية، و يشير إلى أن وظائف المفردات اللغوية تتغير بتغير موقعها في الجملة.

**الأداء و الكفاءة اللغوية:** وهما الوسيلتان اللتان من خلالهما يتمكن الطفل من تقليل الأخطاء اللغوية بشكل مستمر كلما نمى ونضجت قدرته على استخدام هذه القدرة الفطرية التي ولد مزودا بها .

وبالإضافة إلى ذلك يقول عالم اللسانيات جون شومسكي" أنّ البرامج التعليمية التي تتبنى أسلوب التعليم باللغة الأم ثم بلغة ثانية أجنبية فيما بعد قد أثبتت نجاحا ملحوظا في العديد من مناطق العالم، كما أنها حققت نتائج إيجابية هامة سواء على الصعيد النفسي أو الاجتماعي أو التربوي، وذلك لأنها تقلل من آثار الصدمة الثقافية التي يتعرض لها الطفل عند دخوله المدرسة، و تقوي إحساسه بقيمته الذاتية وشعوره بهويته، و ترفع من إحساسه بإنجازه على المستوى الأكاديمي ،كما أنها تساعده في توظيف القدرات و المهارات التي اكتسبها باللغة الأم في تعلم اللغة الثانية.

يمكن القول حسب هذه النظرية أن للإنسان قدرة فطرية على اكتساب أي لغة ، لكن نرى أن هذه النظرية قد أغفلت دور العوامل الاجتماعية والبيئية في اكتساب اللغة.

- **النظرية المعرفية** : حسب بياجي فإن الطفل يتعلم اللغة في طور نموه باستعمال آليتي التمثل والتكيف، فالتمثل أو التنظيم (Organization) هو إدخال موضوع جديد أو وضعية جديدة في مخطط موجود لدى الطفل، ونزعة الفرد إلى ترتيب وتنسيق العمليات العقلية، وأما التكيفAdaptation فهو تعديل وتحويل مسلك متوفر مسبقا، من أجل تحكم أفضل في موضوع جديد أو وضعية جديدة، حيث يمثل نزعة الفرد إلى التلاؤم والتآلف مع البيئة التي يعيش فيها، و نشاط هذين العمليتين قائم على أساس التوازن التلقائي[34].

إذن فعناصر المعرفة لدى بياجيه هي: الشخص ونشاطه أولاً، ثم الإثارة المحتملة من المحيط، وأخيراً آليات التفاعل بين هذا الشخص ومحيطه[35]. والملاحظ أن نظرية بياجي أكثر شمولا وإلماما بكل جوانب وشروط اكتساب اللغة، كدور العوامل العقلية والبيئة معا، والتفاعل بينهما.

**– النظرية التفاعلية الاجتماعية:** أما " فيقوتسكي Vygotsky,1962 " فيركز على دور المجتمع والعلاقات الاجتماعية، فالاكتساب اللغوي يكون بفضل المهارات المعرفية، و اكتساب هذه المهارات ينمو حسب فيقوتسكي في إطار تفاعلي اجتماعي، كما يرى أن التربية اللغوية التي تقدم للطفل في ظروف عادية أو رسمية تؤثر بشكل كبير على مستوى الفهم الفكري، فإذا كانت لغة محيطه فقيرة فإنها ستحد من قدرته على التفكير، والعكس بالعكس، إذ أن العوامل المعرفية والنضج لا تؤثر فقط في اكتساب اللغة؛ ولكن عملية اكتساب اللغة ذاتها يمكن أن تؤثر بدورها في تنمية المهارة المعرفية والاجتماعية، فاللغة بالنسبة له تتحدد من خلال البيئة الاجتماعية واللغوية التي ولد فيها الطفل والنماذج اللغوية المتاحة له.

من خلال العرض السابق لنظريات اكتساب اللغة، نجد أن هناك اتفاقاً حول أهمية هذه المرحلة العمرية، منذ بداية استعداد الطفل الفطري لاكتساب اللغة حتى إعداد البيئة الاجتماعية والثقافة المحيطة بالطفل، وذلك من خلال النماذج اللغوية المختلفة والتي يتعامل معها الطفل، وكذلك الاهتمام بإعداد بيئة تعليمية غنية بالمواقف والخبرات الطبيعية والاجتماعية، وإتاحة الفرصة للحوار والمناقشة والتعرض للرموز اللغوية ومدلولاتها.

**اكتساب الطفل للغة ثانية:** تعتبر العلاقة بين اللغة الأم واللغة الثانية كبيرة، وقد أجريت دراسات كثيرة في هذا الصدد بيّنت أهمية التطور المعرفي في اللغة الأم وتأثيرها في تعلم اللغة الثانية، حيث تبين أن الأطفال الذين يتعلمون اللغة الثانية قبل إتقان اللغة الأولى يعانون من ضعفٍ في اللغة

الأولى واللغة الثانية على السواء، ولهذا فإن تعليم اللغة الثانية بعد إتقان الأولى يعتبر قراراً في صالح اللغتين في آنٍ واحد.

كما يؤدي الخلط بين اللغة العامية والفصحى عند الكلام مع الطفل إلى ضعف محصوله اللغوي السليم، إضافة إلى ارتباكه في انتقاء اللفظ المناسب؛ لأن اللغة تحدث عن طريق الاقتران بين الشيء ولفظ اسمه.[36]

ويعتمد الطفل في مراحل الطفولة الأولى على تقليد لغة الآخرين[37]، فتؤثر اللغات التي يتعلمها الطفل وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة في اكتساب لغته، فحينما يتكلم الطفل لغتين نتيجة لاختلاف لغة البيت عن لغة الأصدقاء أو أبناء الجيران أو لغة المدرسة، أو حينما يضطر لتعلم لغة أجنبية في الوقت الذي لا يزال يتعلم لغته الأم، فإن هذا يؤدي به إلى الوقوع في الفشل بالنسبة لكلا اللغتين، ولعل أهم ما كشفت عنه الدراسات التي تصدت لدراسة أثر تعلم لغتين في نفس الوقت على التطور اللغوي للطفل من نتائج ما يلي[38] :

1. يكون التطور اللغوي للأطفال الذين يتعلمون لغتين في نفس الوقت متأخرا عنه لدى الأطفال الذين يتعلمون لغة واحدة.
2. تزداد نسبة من يعانون من مشكلات لغوية كالتلعثم، وغيرها بين الأطفال الذين يتعلمون أكثر من لغة عن غيرهم.
3. يفضل إدخال اللغة الثانية بعد تخطي المرحلة الحرجة في التطور اللغوي للطفل أي بعد تخطي سن عام ونصف، لأن الآثار السيئة لإدخال اللغة الثانية تزداد عند الأعمار الحرجة التي تكتسب عندها اللغة الأولى.
4. في حالة تعلم الطفل لغتين في نفس الوقت يفضل أن يسمع الطفل كل لغة باستمرار من مصدر واحد مختلف عن مصدر تعلم اللغة الأخرى، فيتلقى اللغة الأولى على الدوام من الأب واللغة الثانية على الدوام من الأم.
5. استخدام كل لغة في أوقات تختلف عن الأوقات التي تستخدم فيها اللغة الأخرى في التحدث مع الطفل، أو استعمالها في ظروف مختلفة.

إذن فتدريس اللغة الثانية لا يعني امتياز هذه اللغة أو تفوّقها على اللغة العربية، ولكن ينصح بتدريسها في مرحلةٍ متأخّرةٍ، وذلك بعد أن يكون التلميذ قد استوعب أساسيات لغته الأم، وأتقن فعالياتها وتشبع بثقافته الوطنية، ويكون ذلك في صالح اللغتين الأولى والثانية.

**خاتمة:**

إذن يتبين لنا من خلال ما سبق أن الطفل يعتمد في مراحل الطفولة الأولى على تقليد لغة الآخرين فتؤثر اللغات التي يتعلمها الطفل وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة في اكتساب لغته، وأن الطفل حينما يضطر إلى تعلم لغة أجنبية في الوقت الذي لا يزال يتعلم لغته الأم، فإن هذا يؤدي به إلى الوقوع في الفشل بالنسبة لكلا اللغتين، لهذا ينصح بتدريس اللغة الثانية في مرحلةٍ متأخّرةٍ، وذلك بعد أن يكون الطفل قد استوعب أساسيات لغته الأم، وأتقن فعالياتها وتشبع بثقافته الوطنية، ويكون ذلك في صالح اللغتين ، كما يجنب الطفل الوقوع في الإجهاد.

**الاقتراحات:**

– تشجيع استعمال اللغة العربية في دور الحضانة ورياض الأطفال والمدارس الابتدائية حتى تكون العربية أول ما سمعه الطفل وتم تلقينه له فيرتبط بالجانب العاطفي الوجداني للطفل.

– فتح مواقع عربية على الإنترنت تعنى بشؤون اللغة المختلفة، تيسر على المراجعين، مهما كان مستواهم، الرجوع إليها والاستفادة منها.

– العمل على توحيد المصطلحات العلمية والاستفادة منها في التأليف والترجمة والتدريس.

– إقامة مسابقات تشجيعية للأطفال في المدرسة يتم فيها مكافئة الأكثر إجادة واتقانا للغة العربية الفصحى، فلم تزدهر اللغة في العصر الجاهلي إلا بما عرف من تنافس بين الشعراء في سوق عكاظ.

–أن يشرف أخصائيون في علم النفس اللغوي واللغة العربية على البرامج التعليمية لكتاب الطفل المدرسي، لأنهم الأدرى بما يحتاجه التلميذ أكثر من أي شخص آخر.

**هوامش البحث:**

1- سورة يوسف ، الآية 02.

2 - سورة القلم ، الآية 01.

3- ابن جنّي، ع،. (ت392ه): الخصائص، تحقيق محمّد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1990م، ج1، ص377.

4-عوض ، أ.(1981)، المصطلح النحوي. الرياض: عمادة شؤون المكتبات.

5-Frédérique, B., et Al.(2004) , Dictionnaire d'orthophonie. Paris: Éd.Ortho . Deuxième édition .

6- بلعيد، ص.، (2000)، دروس في اللسانيات التطبيقية، الجزائر : دار هومة.

7- شاش، م.،( 2002 ) ، علم نفس اللغة، مصر: مكتبة الزهراء.

8- البرازي م.، (1989)، مشكلات اللغة العربية المعاصرة، عمان: مكتبة الرسالة، ط1، ص.55

9- ابن منظور، م.،( 1413 هـ. 1993 م)، لسان العرب، مج.15 ، ط .2 ، بيروت : دار إحياء الّتراث العربي.

10- ابن فارس، ز.، (1420هـ. )، معجم مقاييس الّلغة، مج6، تحقيق :عبد السلام هارون، بيروت : دار الجيل.

11- أنيس،إ.، ( 1965م )، في اللهجات العربية، القاهرة :مكتبة الانجلو المصرية، ص17 و18.

12- حاج صالح،ع.، (2007م )، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، الجزائر:موفم للنشر، ص.153.

13- مادن، س.، (2011م )، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، الجزائر، كنوز الحكمة ، ص33.

14- المناوي، م.،(2005م)، في التعريب والتغريب ، القاهرة: دار الأهرام.

15- الجندي، أ.، (1978م)، اللهجات العربية في التراث، ليبيا: الدار العربية للكتاب ، ص: 129.

16- ابن منظور، ج.، لسان العرب، مرجع سبق ذكره، ص243.

17- الزبيديّ، م.، (ت1205ه): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق على هلالي، مطبعة حكومة، الكويت:الكويت، 1381ه/1961م، ج13، ص580

18-Weinreich, U., (1953), Languages in contact: Findings and problems, New York, [S.N.].

19- محمد ، م، (2013م.)، اختلاف اللهجات على المستوى التركيبي، كتاب توضيح المقاصد والمسالك للمرادي نموذجا، مجلة جامعة جازان، السعودية، العدد الثاني، ماي، ص..74

20- شفيع الدين، م، ( 2007م )، اللهجات العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى : دراسة لغوية ، الجامعة الإسلامية العالمية بنغلاديش، شيتاغونغ، المجلد الرابع، ديسمبر ، ص .75 -96.

21- أنيس،إ.، في اللهجات ، مرجع سبق ذكره، ص17 و18.

22- شاهين، ع.،( 1984 م.)، في علم اللغة العام، بيروت : مؤسسة الرسالة، ط.4، ص225 .

23- فندريس،( 1950 م.)، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخيلي ومحمد القصاص ، القاهرة :مكتبة الانجلو المصرية، ص213 .

24- جونستون ، ب . م. ،( 1975 م.)، دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية، ترجمة أحمد الضبيب، الرياض :عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود ، ص12 .

25- المصدر نفسه، ص16 و 17.

26- المطلبي، غ. ،( 1978 م.)، لهجة تميم : أثرها في العربية الموحدة ، بغداد : وزارة الثقافة والفنون، ص 32.

27- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مرجع سبق ذكره، ص12 و13 .

28- Fodor, J. Bever, T.& Garrett,M. The Psychology of Language. New York: MeGraw- Hill.

29- Berk, (1998) "Developmental Psychology: Language Development & Reading Acquisition".

30- شاش، م.،( 2002 ) ، علم نفس اللغة، مرجع سبق ذكره .

31- شاش، م.،( 2002 ) ، علم نفس اللغة، المرجع السابق.

32- Chomsky, N., (1981) Principles and Parameters in Syntactic Theory in Hornstein and Lightfoot, Explanation in Linguistics, "the Logical Problem of Language Acquisition", : London: Longman.

33- شاش، م.،( 2002 ) ، علم نفس اللغة، مرجع سبق ذكره.

34- تازروني ، ح.، ( 2003 ) ، اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري ، الجزائر: دار القصبة.

35- Ammar, S., New Approach in Teaching Arabic Language, Beirut: AI Risalah publishers.

36-خليل، إ.، فاعلية برنامج في الأنشطة التعبيرية لتنمية بعض المهارات اللغوية لدى طفل الروضة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، ص45 .

37- السيد، م.، (1988م.)، اللغة.. تدريسا و اكتسابا، الرياض: دار الفيصل الثقافية، 43.

38 – الهوارنة، م.، (2010م.)، اكتساب اللغة عند الأطفال، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 84.